

تناولت السورة هذين الأمرين، وركزت أولهما على آيات جاءت في أولها، فبدأت ببيان أن الكتب السماوية، والعقل الذي منحه الله الإنسان ليفرق به بين الحق والباطل، ويستعين به على معرفة الهدى من الضلال، أنزلهما الله لغاية واحدة هي هداية الناس للحق "إله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان" ثم قررت خاصة الألوهية الحققة من العلم المحيط، والقدرة التامة، والحكمة في التدبير والتقدير "إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم" وأردفت هذا وذاك بالإشارة إلى منشأ الشبهة التي تعلق بها النصارى في ألوهية عيسى فأصلتهم عن الحق، مع تزيف هذه الشبهة بما لا يدع لها أثرا في النفوس التي خلاص استعدادها لمعرفة الحق والإيمان به، وكان ذلك في قوله تعالى: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الأبواب".

ويجدر بنا أن نبادر قراء "رسالة الإسلام" في هذا المقام بأن ما تضمنته هذه الآية ليس خاصاً بقضية الألوهية وما يتصل بها من أمر عيسى والنصارى، وإنما هو قاعدة كلية في تعرف منشأ الشبهات التي تميل بالناس عن الحق في أصول الدين وفروعه، وتجعلهم شيعاً وأحزاباً، يكفر بعضهم بعضاً، ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإذا قال الله: ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" توسع بعضهم في تحميل لفظ "لهم البشرى في الحياة الدنيا" ما لا توحى به حقيقته التي يبينها ويوضحها محكم الكتاب في كثير من الآيات الصريحة التي تجعل الأمر كله: يتوسعون بذكر أشياء لا محل لذكرها، ويغفلون أو يعرضون عن مثل قوله تعالى: "ألا له الخلق والأمر". "يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه". "والله يحكم لا معقب لحكمه" "إن الحكم